ماهو المراد باهل السنّة

انّ « اهل السنّة » مركّبه من كلمتين . الاولى : الاهل ، و قد مّر البحث عن معناها و المراد بها هنا الأتباع كما هو واضح .. والثانية السنّة .

والسنّة لغة هى الطريقة ، والسّيرة مأذة من «سنّ» وهو كما يقول ابن فارس : أصل واحد مطّرد وهو جريان الشيء و اطّراده فى سهولة . والأصل قولهم سننت الماء على وجهى ، أسنّه سنّاً : اذا أرسلة ارسالاً ، .. وممّا اشتقّ منه : السنّة وهى السيرة ، وسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيرته ، وانّما سميّت بذلک لأنّها تحوى جرياً »[1] .

وقال الفخر الرازى فى تفسير آية المؤدة :

« المسألة الثالثة : نقل صاحب الكشاف عن النبى (صلى الله عليه وآله) انه قال « من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً . الاومن مات على حب آل محمد (صلى الله عليه وآله) مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان ، أولا ومن مات على حبّ آل محمد بشره ملک الموت بالجنّة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد يزف الى الجنّة كما تزفّ العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرّحمة ، ألا ومن مات على حسب آل محمد مات على السّنّة والجماعة ، الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشمّ رائحة الجنّة »

---

١ ـ معجم مقاييس اللغة ، مادّة «سنّ» .

هذا هو الذى رواه صاحب « الكشاف » . وأنا اقول : آل محمد(صلى الله عليه وآله) هم الذين يؤول أمرهم اليه ، فكل من كان أمرهم اليه اشد واكمل كانوا هم الآل ، ولاشک أن فاطمة وعليّاً والحسن و الحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله(صلى الله عليه وآله) أشدّ التعلّقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر ، فوجب أن يكونوا هم الآل ، وايضاً اختلف الناس فى الآل ، فقيل هم الأقارب وقيل هم امته ، فإن حملناها على الامّة الذين قبلوا دعوته فهم ايضاً آل فثبت ان على جميع التقديرات هم الآل ، وأمّا غيرهم فهل يدخلونه تحت لفظ الآل ؟ فمختلف فيه .

وروى صاحب الكشاف : انه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتک هؤلاء الذين وجبت علينا موّدتهم ؟ فقال : على وفاطمة وابناهما ، فثبت أن هؤلاء الاربعة أقارب النبى(صلى الله عليه وآله) واذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدلّ عليه وجوه :

الأول : قوله تعالى : (الّا المودة فى القربى) ووجه الاستدلال به ما سبق .

الثانى : لاشک أن النبى(صلى الله عليه وآله) كان يحب فاطمة عليها السلام قال(صلى الله عليه وآله):فاطمة بضعة منى يؤذينى ما يؤذيها » . وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) انه كان يحب علياً والحسن والحسين . واذا ثبت ذلک وجب على كل الامّة مثله لقوله : «وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » الاعراف ١٥٨ .

ولقوله الثانى :« فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ النور ٦٣ . ولقوله «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ »آل عمران /٣١ . ولقوله

سبحانه « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »الاحزاب /٢١ .

الثالث : أن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلک جعل الله هذا الدعاء خاتمة التشهد فی الصلاة وهو قوله : اللهم صل علی محمد وعلی آل محمد وارحم محماً وآل محمد ، وهذا التعظيم لم يوجد فی حق غير الآل ، فكل ذلک يدل علی أن حب آل محمد واجب . وقال الشافعی رضی الله عنه :

يا راكباً قف بالمحصّب من منی واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج الی منی فيضاً كما نظم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أنی رافضی »[1]

أرسله ارسالاً ، .. وممّا اشتقّ منه : السّنّة وهی السيرة ، وسنّة رسول الله (صلی الله علیه وآله) سيرته ، وانّا سميّت بذلک لأنّها تجری جرياً »[2]

و قال بعض المحققين : « والتحقيق ان الأصل الواحد فی هذه المّادة هوجريان امر منضبط ، سواء كان هذا الامر و جريانه فی ظهور صفة او عمل او قول ، و تختلف الضوابط باختلاف الموارد . و الّسنّة فُعلَه ، هو ما يُسنّ به كاللّقمة ، وسُنّة الله تعالی : جريان من ظهور صفاته علی ضوابط مخصوصة ، وهذه الضوابط تختلف باختلاف كلّ صفة و بمقتضی خصوصياتها »[3]

١ـ التفسير الكبير ،الفخر الرازی ج٩ / ٥٩٥ ، طبع دار احياء التراث العربی ، بيروت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥ م .

٢ـ معجم مقاييس اللغة مادّة «سنّ» .

٣ ـ التحقيق فی كلمات القرآن الكريم ، حسن المصطفوی ، ج ٥ / ٢٧٥ .

السنّة فى الاصطلاح :

و تستعمل السّنّه فى المصطلح الاسلامى بعدّة استعمالات ، أشهرها : سنّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، و هى قوله و فعله و تقريره . و منها : العمل المستحبّ فى مقابل الفريضه . و منها العمل الشرعى الصادر عن الشارع فى مقابل البدعة .

و امّا اذا اضيف الاهل الى السّنّه فهو بمعنى اتباع السّنّه . و هو يطلق على فريق من المسلمين كما يضاف اليه كلمة الجماعة و له استعمالات متعدّده بحسب سعة و ضيق المصاديق و يضاف اليه و يمكن تقسيمها الى ثلاثة استعمالات . استعمال عام وخاص وأخص :

الف : الاستعمال العام لأهل السّنّة :

الف ـ يطلق غالباً اهل السنّة و يراد بهم الذّين لا يرون لزوم النّص فى الامامة و لا العصمة و لا الافضليّه و هذا العنوان يشمل جميع الفرق المنتمية الى الاسلام ما سوى الشّيعة ، حيث ان الشيعة يرون لزوم النّص و العصمة و الافضلية فى الامام ، فيدخل تحت هذا العنوان العام عموم الاشاعرة و اهل الحديث و المعتزلة و حتّى الخوارج و ان كان غيرهم لا يرونهم داخلين فى الاسلام ، كما انّهم يكفّرون ما سواهم .والمقصود من اهل السّنّة فى عنوان البحث هو هذا المعنى العام المقابل للشّيعة لا ما يأتى من معانى خاصّة .

ب ـ اهل السّنّة فى مقابل اهل البدعة وهو الاستعمال الخاص :

وهناک معنی خاص لاهل السّنّة یخرج عنه بعض الفرق المنتمیة الی اهل السّنّة بالعنی العام . واذا اطلق هذا العنوان ، یراد به اهل الحدیث و الأشاعرة من الذین یقولون بزیادة الصّفات علی الذّات الالهیّة ، و اتباع المذاهب الاربعة . وهم : الاحتاف و المالکیّة و الشوافع و الحنابلة . و یطلق علی غیرهم باهل البدعة ویراد بهم المعتزلة و الامامیّة و غیرهم .

یقول ابن خلدون فی ذلک ، وهو یبیّن کیفیّة ظهور الفرق والمذاهب فی العالم الاسلامی ـ « ولمّا کثرت العلوم و الصّنائع و ولع الناس بالتدوین و البحث فی سائر الانحاء و الفّ المتکلمون فی التنزیه ، حدثت بدعة المعتزلة فقضوا بنفی صفات المعانی من العلم و القدرة و الارادة و الحیاة زائدة علی احکامها ـ الی أن قال : و خالفهم أئمة السّلف فاستحلّ لخلافهم أیسارُ کثیر منهم و دماؤهم . وکان ذلک سبباً لانتهاض اهل السّنّة بالأدلّة العقلیّة علی هذه العقائد دفعاً فی صدور هذه البدع ، و قام بذلک الشیخ ابو الحسن الاشعری امام المتکلمین وردّ علی المبتدعة فی ذلک کلّه الی ان قال ـ و اُلحق بذلک الکلام فی الإمامة .

لما ظهر حینئذ من بدعة الامامیّة فی قولهم انّها من عقاید الایمان و انّما یجب علی النبی تعیینها ...»[1]

و لا یخفی ان وصف المعتزلة و الامامیّة بالابتداع مجازفة فی الکلام ، اذا الابتداع هو التصّرف و التّدخّل فی الدین بادخال ما لیس منه فیه او اخراج ما هو منه عنه بلا دلیل و لا حجّة شرعیّة . و

۱ـ مقدمّة ابن خلدون ، بیروت ، ص ۳۶۷ ـ ۳۶۸ ، طبع دارالکتب العلمیّة /۱۴۲۴ هـ ـ ۲۰۰۳ م .

الحال ان الاماميّة فى عقائدها تستند الى حجج شرعيّة ، و كذلک المعتزلة فى مخالفتها لكون الصفات زائدة عن الذات تستند الى حجج عقليّة .

و كذلک فسّر عبد القاهر البغدادى الاسفرائينى المتوفى عام ۴۲۹ فى كتابه « الفَرق بين الفِرَق » اهل السّنة و الجماعة بفقهاء الأمة (يريد المذاهب الاربعة من اهل السّنّة فى الفروع) و متكلميهم بالصفاتية (يعنى القائلين بالصفات الزائدة على ذاته سبحانه) و جعل المعتزلة و الاماميّة و غيرهم من الفِرَق فى مقابلتهم ووصفهم باهل البدع و الأهواء ... و استند فى وجه تسميتهم بذلک بما روى عن النبى (صلى الله عليه وآله) انه قال : فى الفرقة الناجية من فرق امته ، وهم ثلاث و سبعون ـ كما فى الحديث ـ ما أنا عليه و أصحابى » وفى حديث آخر و هى الجماعة » ثم قال : ولسنا نجد اليوم من فرق الامة من هم على موافقة الصحابة رضى الله عنهم غير اهل السّنّة والجماعة من فقها الامة و متكلميهم الصفاتية ـ الى أن قال : وبان من هذا ان المقتدين بالصحابة من يعمل بما قد صحّ بالروّاية الصحيحة فى احكامهم و سيرهم ، وذلک سنّة اهل السّنّة دون ذوى البدع »[1]

وقال البغدادى ايضاً : « وانّما فصل النبى (صلى الله عليه وآله) بذكر الفرق المذمومة فرق اصحاب الاهواء الضّالة الذين خالفوا الفرقة الناجية فى ابواب العدل والتوحيد ، او فى الوعد والوعيد ، او فى بابى القدر و الاستطاعة ، او فى تقدير الخير و الشّر ، او فى باب الهداية و الضّلالة ، او فى باب الارادة و المشيئة ، او فى باب الرؤية والادراک او فى باب صفات الله عزوجل و اسمائه و اوصافه ، او فى باب من ابواب التعديل و التجوير، او فى باب من ابواب النّبوة و شروطها و نحوها من الابواب

۱ـ الفرق بين الفرق ، للبغدادى ، بيروت ص ۶ ، ۷ ، ۱۳ ، ۳۱۸ ، ۳۲۲ .

التّى اتّفق عليها اهل السّنّة و الجماعة من فريقى الرأى و الحديث على اصلٍ واحد خالفهم فيها اهل الاهواء الضّالة من القدريّة والخوارج و الروافض ، النّجاريّة ، والجهمّية ، والمجسمة ، و المشبهة ومن جَرَى { مجراهم } من فرق الضّلال ، فان المختلفين فى العدل و التوحيد والقدر و الاستطاعة ، وفى الرواية و الصفات و التعديل و التجوير وفى شروط النبّوة والإمامة يكفّر بعضهم بعضاً .

فصحّ تأويل الحديث المروىّ فى افتراق الامّة ثلاثاً وسبعين فرقة الى هذا النوع من الاختلاف دون الانواع التى اختلفت فيها ائمة الفقه من فروع الاحكام فى ابواب الحلال و الحرام ، وليس فيما بينهم تكفير ولاتضليل فيما اختلفوا فيه من احكام الفروع »[1].

ج ـ اهل السّنّة فى مقابل اهل التأويل هو المعنى الأخص :

وقد يطلق هذا العنوان ويراد به خصوص اهل الحديث من الحنابلة و غيرهم ، و يخرج عن هذا العنوان كلّ من يقول بتأويل الصفات الخبريّة وينزّه البارى عن الجسميّة و اهل التأويل بما يشمل الاشاعرة و المعتزلة و الامامية و غيرهم .

وامّا اهل الحديث فهم يخالفون اى تأويل ، و كلامهم هو موقف مالک بن أنس حينما سئل عن الاستواء ، فقال : « الكيف غير معلوم ، والاستواء غير مجهول ، والايمان به واجب و السؤال عنه بدعة »[2] .

١ـ الفرق بين الفرق ، ص ١٠ ـ ١١ ، طبع : شركة ابناء شريف الأنصارى ، بيروت ، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م .

٢ـ اصول السّنّة ص ٤١ ـ ٤٤ ، الكلام المقارن للربانى الگلبايگانى ص ١٣ .

ونقل عن الامام الحافظ ابن رجب الحنبلی فی « فضل علم السلف علی الخلف ص۲۹ انه قال : « و الصواب ما علیه السلف الصالح من امرار آیات الصفات واحادیثها کما جاءت من غیر تفسیر لها ولا تکییف ولا تمثیل ، ولا ضرب عن احد منهم خلاف ذلک البته خصوصاً الامام احمد ، ولا خوض فی معانیها ولا ضرب مثل من الامثال لها ، وان کان بعض من کان قریباً من زمن الامام احمد فیهم من فعل شیئاً من ذلک ، اتباعاً لطریقة مقاتل ، یقتدی به فی ذلک ، انّما الاقتداء بائمة السّلف کابن المبارک ، ومالک ، و الثوری ، والاوزارعی ، والشافعی ، و احمد ، واسحاق و ، أبی عبید و نحوهم ، وکلّ هؤلاء لا یوجد فی کلامهم شیء من جنس کلام المتکلمّین فضلاً عن الکلام الفلاسفة »[1]

واذا اطلق عنوان اهل السّنّة علی هذا الفرق فیکون أخصّ حتّی من المعنی الثانی .

نشأة اصطلاح اهل السّنّة و الجماعة

لا شکّ ان هذا الاصطلاح بمعانیه الثلاثة المذکورة من الالفاظ المستحدثة بعد القرن الاوّل الهجری ، فانّه لم یطلق فی زمن رسول الله (صلی الله علیه و آله) علی فریق من المسلمین هذا العنوان ولا فی زمن الصّحابة والتابعین ، بل بدأ ذلک الاصطلاح یتبلور تدریجیّاً فی اواخر القرن الثالث ، واطلق رسمیاً علی اهل الحدیث وحدهم او علیهم وعلی الأشاعرة فی القرن الرّابع فی مقابل الشیعة و المعتزلة ، وامّا انحصار المذاهب بالاربعه و و تسمیة الجمیع باهل السّنّة و الجماعة فقط ، فقد حدث فی القرن السابع الهجری . و لاریب ان التطورات السیّاسیّة و الفکریّة هی التی أفرزت

---

۱ ـ اصول السّنّة ، للامام احمدبن حنبل ص۴۳ ـ ۴۴ ، تعلیقة عمروبن بن عبدالمنعم بن سلیم علی کتاب اصول السّنّة .

هذا المصطلح ، ولأيادى الخلفاء الامويين ومعاوية بن ابى سفيان خاصّة ، و العباسيّين و المتوكّل العبّاسى خاصّة الدّور البارز فى تمهيد المقدمات لنشأة ذلک المصطلح المذهبى .

دور الخفاء الامويّين والعباسيّين فى نشأة ذلک اصطلاح اهل السّنّة

هناک شواهد تاريخيّة كثيرة تدلّ على الادوار التّى لعبتها الخلفاء الامويّون والعباسيّون بل غيرهم من الامراء على وضع مصطلح اهل السّنّة والجماعة ، منها :

الف- قد اشتهر بين المؤرخين انّ معاوية بن ابى سفيان سمّى عام الواحد والاربعين ب «عام الجماعة » اثر الصّلح الذى وقع بينه وبين الامام الحسن المجتبى عليه السلام .

قال ابن خلدون فى تاريخه : «واستقرّ الامر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته ، وذلک فى منتصف سنة احدى واربعين ، وسمّى ذلک العام عام الجماعة من اجل ذلک .»[1]

و مال بعض المحققين الى أنّ تسمية ذلک العام بالجماعة هو مبدأ تسمية اهل السّنّه والجماعة بذلک العنوان ، كما جاء فى كتاب ثم اهتديت للسيد محمد التيجانى ص ١٧٠ .

إن قبول هذا الاتجاه وإن كان صعباً لعدم الشّواهد التاريخيّة الواضحة الدّالة على تلک التسمية ، لكنّ القدر المتيقّن هو أن معاوية كان له الدّور البارز فى تأسيس تلک المدرسة بابداع الخطوط العريضة لها ، فأنّ مسائل كالاعتقاد بفضائل كثيرة للخلفاء ، والقول بعدالة الصّحابة ، والاعتقاد بالأرجاء و الجبر وغيرها من العقائد ، وكذلک مثل الاخفات فى البسملة وما شاكل ذلک من

١ـ تاريخ ابن خلدون المسمّى كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخبر فى ايّام العرب والعجم والبربرومن عناصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، ج ١ / ٩٦٩ ، طبع : بيروت ، دارابن حزم ،١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م .

الاحكام الفقهيّة ، هى التّى تميّز مدرسة اهل السّنّة والجماعة عن الشّيعة ، وهذه القضايا ممّا حدثت فى ايّام معاوية وبتأثير من سياسته كما هو واضح .

انّ المحقق التسترى فى شرح الكتاب رقم : ٢٨ من رسائل نهج البلاغة خطاباً الى معاوية ، وهو قوله عليه السلام : « فاحذر الشبهة واشتمالها على لُبستها ، فأنّ الفتنة طالما أغدَفَت جلابيبها ، وأعشت الأبصار ظلمتُها .» ، قال :

« والمراد أن وزر شبههِ وفتنهِ يكون ابد الدهر عليه ، وشبهات معاوية و تلبيساته الى اليوم فى أذهان اهل السّنّة باقية ، بل هل دين اهل السّنّة الّا دين اخترعه لهم معاوية؟ . ولذا قال الربيع بن نافع كما فى (تاريخ بغداد) : معاوية بن أبى سفيان ستر أصحاب النبى صلى الله عليه وآله ، فاذا كشف الرجل الستر اجترأ على ماوراءه .[1]

قلت : وكفى صحابتهم خزياً وافتضاحاً كون معاوية الذى جاهر بالكفر و عمل ما عمل ، لهم ستراً .»[2].

ب ـ انّ تسمية جماعة باسم اهل السّنّة بمعنى الذين يعتنون بنشر سنّة النبى صلى الله عليه وآله بدأ بعد رفع الحظر عن تدوين السّنّة النبويّة فى نهاية القرن الاول على يد عمر بن عبدالعزيز الاموى .

١ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١ / ٢٠٩ .

٢ـ بهج الصباغة فى شرح نهج البلاغة ، المحقق الشيخ محمد تقى التسترى ، ج٥ / ٣٥٠ ، طبع : تهران ، دار امير كبير للنشر ، اعداد وترتيب مؤسسة نهج البلاغة ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م .

قال الشيخ الربانى الگلبايگانى : « إنّ توصيف طائفة من المسلمين باسم اهل السّنّة من العناوين الحديثة التى ظهرت فى آخر القرن الاوّل او فى اوائل القرن الثانى . فانک لا ترى أثراً من هذا الاسم فى زبر الاولين إلّا فى رسالة عمر بن عبدالعزيز فى القدر ، وقبل ذلک كان كتابة الحديث و تدوينه و التحديث به و افشاؤه من الامور المنكرة . وهذا هو عمر بن الخطاب قال لابى ذرّ وعبدالله بن مسعود وأبى الدّرداء : « ما هذا الحديث الذى تفشون عن محمد(صلى الله عليه وآله) » وكان يقول ايضاً : « جردوا القرآن وأقلوا الروّاية عن رسول الله وامضوا وأنا شريككم »[1]

فاذا كان التحدّث بسنّة الرسول(صلى الله عليه وآله) أمراً منكراً فى القرن الاوّل ، فكيف يحتمل ان يعرف اناس ينكرون نقل الحديث وافشاؤه باسم «أهل السّنّة » ؟ وعلى ذلک فلا نحتمل وجود هذه التسمية فى ذلک العصر ، وانّما حدثت تسمية اهل الحديث وتوصيفهم باهل السّنّة بعد ما شاع التحديث به وقام ثلّة جليلة من المسلمين بجبر ما انكسر »[2]

ج ـ مال بعض العلماء الى ان التسميّة باهل السّنّة بدأت فى عصر العباسيّين .

قال ابو حاتم فى كتاب الزينة فى الكلمات الاسلامية : « ... ثم بعد مقتل عثمان و قيام معاوية و اتباعه فى وجه على ابن ابى طالب و اظهار الطلب بدم عثمان و استمالته عدداً عظيماً من المسلمين الى ذلک ، صارأتباعه يعرفون بالعثمانية وهم من يوالون عثمان و يبرئون من على . امّا من يوالونهما فلا يطلق اسم العثمانية (عليهم) . و صار أتباع على يعرفون بالعلوية مع بقاء اطلاق

١ـ كنز العمال ج ١ / ٢٩٣ ، الحديث ٢٧٤٧٩ ـ طبقات ابن سعد ج ٦ / ٧ ـ المستدرک للحاكم ١٠٢ .

٢ـ الكلام المقارن ، على الربانى الگلبايگانى ص ١٩ ، طبع قم / ١٤٢١ هـ .

اسم التشيّع عليهم . و استمر ذلک مدة ملک بنی اميّة . وفی دولة بنی العباس نسخ اسم العلويّة و العثمانية و صار فی المسلمين اسم الشيعة و اسم السّنّة الی يومنا هذا ...»[1]

والظاهر من هذا الكلام ان التسمية وقعت فی اوائل خلافة العباسيّين ، ای فی القرن الثانی ، و هذا الرأی هو الذی دعمه بعض المعاصرين الّا انه ارجع التسمية الی القرن الثالث ای فی زمن خلافة المتوكّل العباسی .

قال الدكتور علی الوردی : « وممّا تجدر الاشارة الی أن مصطلح « اهل السّنّة و الجماعة » لم يظهر فی التاريخ الّا فی ايام المتوكّل ، و كانوا قبل ذلک يدعون « اهل الحديث » و « الحديث » و «السّنّة » لفظان مترادفان من بعض الوجوه »[2]

د ـ قد يستفاد من كتب الملل و النّحل ان التّسمية وقعت فی القرن الرّابع بعد أن قام الأشعری بوجه المعتزلة ، و كان من يزعم أنّ السلف ، قبل ذلک يُسّونَ بالصفاتيّة ، و بعده اصبحت عقائدهم التی هی اساس مذهب اهل السّنّة و الجماعة تسمّی بالاشعريّة .

قال عبدالكريم الشهرستانی :

« اعلم أنّ جماعة كثيرة من السّلف كانوا يثبتون لله تعالی صفات ازليّة من العلم و القدرة و الحياة والإرادة والسمع والبصر و... ولا يفرقون بين صفات الذات و صفات الفعل ، بل يسوقون الكلام

١ـ اعيان الشيعة ، السيد محسن الامين ج ١ / ١٩ .

٢ـ وعاظ السلاطين ، علی الوردی ، ص ٢٣٢ ـ نشر مؤسسة الصادق للطباعة والنشر: ايران بالافست عامة ١٣٨٠هـ ش .

سوقاً واحداً ، وكذلک يثبتون صفات خبريّة مثل اليدين و الوجه ولا يؤولون ذلک ، الّا انّهم يقولون : هذه الصفات قد مهّدت فی الشرع ، فنسمّيها صفات خبريّة .

ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات و. السّلف يثبتون ، سمی السلف صفاتيّة و المعتزلة معطّلة ... حتی انتهی الزمان الی عبدالله بن سعيد الكلابی ، وابی العباس القلانسی ، و الحارث بن أسد المحاسبی ، و هؤلاء كانوا من جملة السلف ، الّا انهم باشروا علم الكلام ، و ايّدوا عقائد السّلف بحجج كلاميّة ، وبراهين اصوليّة ، و صنف بعضهم و درس البعض حتی جری بين أبی الحسن الأشعری و بين استاذه مناظرة فی مسائل من مسائل الصلاح و الأصلح ، وانحاز الأشعری الی هذه الطائفة ، فأيّد مقالتهم بمناهج كلاميّة ، وصار ذلک مذهباً لاهل السّنّة و الجماعة ، و انتقلت سمة الصفاتيّة الی الاشعرية »[1] .

هـ ـ ولا يخفی انه كانت لاهل السّنّة مذاهب كثيرة بدأت نشأتها تدريجياً من القرن الاول الی الرّابع علی ايدی بعض الرجال المدعوّين بالفقهاء كالحس البصری وعمربن عبدالعزيز وابی حنيفة وعبدالله بن أباض ومالک بن انس ، والشافعی والأوزعی واحمد وسفيان الثوری والليث والطبری واضرابهم عدّها البعض الی خمسين مذهباً ومنها المذاهب الاربعة الّتی عاش ائمتها فی القرنين الثانی و الثالث ، الّا ان هذه المذاهب قد انقرضت و انحصرت بالمذاهب الاربعة بفضل المستنصر العباسی الذی اسّس مدرسته المسمّاة بالمستنصّرية عام ۶۳۱ هـ حيث سمح للاساتذة المنتمين

۱ـ الملل والنحل ، الشهرستانی المتوفی ۵۴۸ ص ۷۴ ـ ۷۵ ، طبع دارالفكر ، ۱۴۲۵ هـ ـ ۲۰۰۵ م .

الى المذاهب الاربعة فقط بالتدريس فيها ، و حرم غيرهم منها ، كما ذكره ابن الفُوَطى فى الحوادث الجامعة فى وقايع سنة ٦٣١هـ .[1]

وهذا ممّا سبّب تقلّص اتباع المذاهب الاخرى رغبة بالمشاركة فى التدريس فى تلك المدرسة .

وجائت ضربة قاضية اخرى بعد سقوط الدوّلة العباسيّة للمذاهب غير الاربعة وسبّبت انحسارها وانحصار المذاهب بالاربعة ، وتلك الضربة كانت فى حكومة الظاهريّين على يد الملك الظاهر البيبرس البُندقدارى عام ٦٦٥ هـ . وذلك حينما نصب القضاة من المذاهب الاربعة ، وهم : الاحناف والمالكيّة والشوافع والحنابلة ، وحرم غيرهم وحصر الاجتهاد فيها .

قال المقريزى :« فلمّا كانت سلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى ، ولىّ بمصر اربعة قضاة ، وهم : شافعى ومالكى وحنفى وحنبلى ، فاستمر ذلك من سنة ٦٦٥ هـ ، حتى لم يبق فى مجمع امصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب الاسلام سوى هذه المذاهب الاربعة ، وعملت لهم المدارس والخوانك والزوايا والربط فى سائر ممالك الاسلام ، وعودى من تمذهب بغيرها واعتدى عليه ، ولم يولّ قاض ولا قبلت شهادة احد ولا قدّم للخطابة والامامة والتدريس احد مالم يكن مقلّداً لاحد هذه المذاهب . وافتى فقهاء الامّة فى طول المدّة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها ، والعمل على هذا الى اليوم ، واعلن الظاهر بيبرس سدّباب الاجتهاد وما زال امر بيبرس نافذاً بالرغم من زوال ملكه .»[2]

١ـ تاريخ حصر الاجتهاد ، الآقا بزرگ الطهرب ص ١٠٥ ـ ١٠٧ ، منشورات الامام المهدى (ع) ـ ، خوانسار ، ايران .

٢ـ الخطط المقريزيّة ٢ / ٣٢٢ ـ الامام الصادق والمذاهب الاربعة ، اسد حيدر ج ١/ ١٧١ ـ وركبت السفينه ، مروان خليفات ص ٧٧ .